(٢٧) والقبر روضة من رياض الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: قال –رحمه الله–: والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار: صدق –رحمه الله–، وفي هذا استدراك لما يتعلق بنعيم القبر، فإن القبر يكون روضة من رياض الجنة، حتى إن المؤمن في قبره يقول: (رب: أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي)، وليس مراده أرجع إلى أهلي ومالي في الدنيا، فإن الرجوع لا يلزم أن يكون العود على الأعقاب، وإنما بلوغ الشيء يقال عنه: رجوع، فمراده أهلي ومالي في الجنة، فإنه لما رأى أن هذا من عاجل البشرى ومن النعيم الأدنى طمع فيما وراءه، و أما الكافر –والعياذ بالله– فإنه يقول: (رب: لا تقم الساعة)، (رب: لا تقم الساعة)، لعلمه بأن ما أعد الله تعالى له بعد قيام الساعة أشنع وأشد مما هو فيه الآن، عافانا الله وإياكم.

إذن يا إخوتي يجب علينا أن نؤمن بهذه القضية وينبغي لنا أن نزور القبور، فإنها تذكر الآخرة، وقد قال النبي ﷺ: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فإنها تذكر الآخرة)، فعلى المؤمن أن يقصد زيارة المقابر، ليس فقط عند اتباع الجنائز، بل مع اتباع الجنائز والذهاب إليها في أوقات مخصصة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقصد المقبرة ليلاً أحياناً، كما في قصة عائشة لما قام من عندها وتبعته حتى دخل البقيع، ورأته يرفع يديه ثلاثاً، في قصة معروفة، وقد دعاه جبريل إلى أن يذهب ويدعو لأهل البقيع، فعل المؤمن أن يزور زيارة اعتبار، وإنه لمن دواعي الأسف أحياناً أن تجد بعض المشاهد في المقابر تنم عن قسوة قلب، تجد من الناس في المقبرة من يتحدثون في أمور الدنيا ويقهقهون ويتمالحون في الكلام وغير ذلك، وما كأنهم بحضرة مهيبة، **كان عثمان إذا وقف على القبر اصفر وجهه، ويقول: إن هذا له ما بعده.** له ما بعده، فينبغي لزائر القبور أن يبدأ بالسلام عليهم والدعاء لهم، وله أن يقصد قبر من يحب أن يخصه بزيارة ويقف ويدعو له، وإذا شهد جنازة أن ينتظر حتى تدفن دفناً تاماً ويقوم على قبرها، على القبر، ويسأل التثبيت لصاحبه، بهذا تحيى القلوب وتخرج عن آثار المادة والتفكير في الحياة الدنيا وحدها، لأن هذه الغرفة الصغيرة الضيقة مآلك إن عاجلاً أو آجلاً، هي مآلك إن عاجلاً أو آجلاً، ففيها موعظة بليغة لمن أراد أن يستكن لقلبه ويستلين قلبه أن يقف عليه، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم النساء عن زيارة القبور، لأنهن لا يطقن ذلك، وربما وقع لهن من الرهبة أو من النحيب والعويل ما يخرجهن عن الحد الشرعي، فنهين عن زيارة القبور.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

ثم إنه بعد ذلك ثنى بذكر البعث: فمن مات فقد قامت قيامته، وأخبر النبي ﷺ بأن ابن آدم يفنى ولا يبقى منه إلا عجب الذنب، العصعص فقط، ولكنه يتحلل، وهذا يدل على أن عذاب القبر على الروح أصالة، عذاب القبر أو نعيمه يقع على الروح أصالة، لكن قد يقع على الروح والجسد معاً، كما دل عليه حديث: (يضرب بمرزبة من حديد)، **فالروح لها مع الجسد خمسة أنواع من التعلقات: الروح لها مع الجسد خمسة أنواع من التعلقات:**

الحال الأولى: تعلق الروح بالجسد في الحالة الجنينية. فينفخ فيه الروح، ومع ذلك لها حال لا نذكره ولا ندركه.

الحال الثانية: علاقة الروح بالجسد في حال اليقظة. كما هو حالنا الآن، فبها وعي وإدراك بقدر.

الحالة الثالثة: علاقة الروح مع الجسد في حال النوم. فالنوم روحه متصلة بجسده، وإن كانت تذهب وتعود، لكن لها نوع اتصال، والله تعالى قد قال: **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى} [الزمر: ٤٢]** ، فإذن هي، الأرواح تذهب إلى بارئها، فمن قضى الله عليه الموت في نومته أمسك روحه، ومن أراد له أن يحيى رد عليه روحه، ولهذا إذا استيقظنا من نومنا ماذا نقول؟ يقول: إذا أراد الإنسان أن ينام يقول: (باسمك اللهم أحيا وأموت)، وإذا استيقظ قال: (الحمد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره)، ويقول إذا أوى إلى فراشه: (باسمك رب وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)، دل ذلك على أن للروح مع البدن نوع تعلق حال النوم يختلف عنه في حال اليقظة.

الحال الرابعة: علاقة الروح بالبدن حال البرزخ. وهي التي نتحدث عنها الآن، فلا شك أن الروح تعود إلى البدن، لأنها إذا رفعت إلى السماء قيل للروح الطيبة قولاً حسناً ويقال: (أيتها الروح الطيبة، ثم ينادي مناد: أن، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى، فترد الروح إلى البدن)، فهذا فيه نوع اتصال.

والحالة الخامسة: هي علاقة الروح بالبدن في حالة بعد البعث. يعني في الجنة أو النار، وهي أقوى حالات الاتصال، ولهذا يكون النعيم أكمل ما يكون، والعذاب أشد ما يكون، لالتصاق الروح بالجسد التصاقاً حميماً، فيحصل من جراء ذلك التنعم التام أو العذاب التام —والعياذ بالله–.

والأرواح في البرزخ لها أحوال ولها مقامات:

فإن مثلاً من أرواح المؤمنين ما، أرواح الشهداء، أرواح الشهداء تكون في حواصل طير خضر معلقة، تأوي إلى قناديل معلقة بعرش الرحمن، تسرح في الجنة، أرواحهم تكون في هذا الموضع الكريم، ومن المؤمنين من تكون

روحه في فناء الجنة، وصاحب الدَّين تكون روحه محبوسة، ومن الناس من تكون –والعياذ بالله– روحه في تنور وهم الزواني والزناة والزانيات، الزناة والزواني كما دل على ذلك الرؤيا المنامية التي رآها النبي، فهذا العالم مستقر الأرواح عالم عجيب، ولكل مقام معلوم، ثم ذكر البعث.

قال: ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة: أما البعث فالمراد به إخراج الله الموتى من قبورهم أحياء حفاة عراة غرلاً بهماً، هذا هو البعث، **{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن: ٧]** ، **{ قُلْ بَلَى وَرَبِّي} [التغابن: ٧]** ، هذا أحد ثلاث مواضع في القرآن يأتي القسم على هذا النسق، **{وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ}**: فأكده بالقسم: **{وَرَبِّي}**، وبلام القسم، وبنون التوكيد الثقيلة، فدل ذلك على آكديته وأنه لابد صائر، فالبعث هو إخراج الله الموتي أحياء من قبورهم حفاة عراة غرلاً بهماً، كما دلت على ذلك الآيات الكثيرة: **{ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } [الزمر: ٦٨]** ، **{ قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس: ٥٢]** وقال: **{يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦)خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ } [القمر: ٦، ٨]**: هذا وصف تصويري لمشهد البعث، الأرض قد بُدلت غير الأرض، والسموات غير السموات، وذلك أن الله سبحانه وتعالى إذا قدر فناء هذا العالم ونفخ في الصور النفخة الأولى نفخة الصعق جرى في هذا الكون من التغيرات الفلكية والجغرافية ما تستحيل به السماء غير السماء والأرض غير الأرض: **{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} [إبراهيم: ٤٨]** ، ثم ماذا؟ يمضي مدة الله أعلم بها، ثم إذا شاء الله تعالى البعث نفخ إسرافيل النفخة الثانية في الصور فخرجت الأرواح من الصور وحلت في الأبدان التي كانت تعمرها في الدنيا، وتشققت الأجداث عن ساكنيها، فجمع الله تعالى في هذه الفترة التي جرى فيها التغيير في الأرض مكونات كل إنسان مع بعضها البعض، حتى الذي تفرق في حواصل الطير وبطون السباع وأجواف الحيتان، أو الذي احترق وغرق، يعيد الله تعالى جمع أجزائه حتى يعود خلقاً كاملاً، حتى الغرلة التي على رأس الذكر تعود معه، منها: **{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } [الأنبياء: ١٠٤]** ، فيقع هذا المشهد المهيب، تصوروا –يا رعاكم الله– أرض مبسوطة ممدودة كمد الأديم، ليس فيها معلم لأحد، ليس فيها جبل يرتقى، ولا واد يهبط إليه، ولا غار يكتن به، أرض كالقرصة كالخبزة لم يسفك عليها دم، أرض بكر، قد بدلت، مدت مد الأديم، لا حد لها، واسعة فسيحة لتسع الناس، فإذا بهذه الأرض تتفلق وتنشق، وإذا بالناس يقومون من قبورهم، تبارك الله، الناس من لدن آدم ستون ذراعاً في السماء إلى من هم في مثل أطوالنا، إلى من يخلق الله بعدنا، يقومون لرب العالمين: **{خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ} [القمر: ٧]** ، ويتوجهون حيث يدعوهم الداعي: **{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ }**

[القمر: ٦] ، يسيرون، على أي هيئة؟ كما وصف النبي ﷺ: (حفاة): غير منتلعين، (عراة): غير مكتسين، (غرلاً): غير مختونين، (بهما): ليس معهم شيء، لا أحد يحمل معه حقيبة، ولا يحمل معه أغراض شخصية، لا، يمشي هكذا كيوم ولدته أمه، حتى إن عائشة رضي الله عنها لما سمعت هذا الوصف قالت: واسوأتاه! يا رسول الله: الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟. هكذا المرأة المؤمنة العفيفة أول ما يتبادر إلى ذهنها ماذا؟ الحشمة والعفة، لأن هذه فطرة، هكذا الفطر السليمة التي لم تلوث بالعري والتفسخ والتحلل، أول ما تبادر إلى ذهنها ما هو هول الموقف، لكن الحياء الفطري الطبيعي، قالت: يا رسول الله: واسوأتاه! الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: (الأمر أكبر من ذلك يا عائشة)، يعني ليسوا في حال ينظر بعضهم إلى بعض، كل مشغول لا يدري إلى أين يوجه، فريق في الجنة وفريق في السعير، الأمر جد خطير، فيحصل هذا البعث الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه القرآن العظيم، ثم يجتمع الناس في عرصات القيامة، عرصات القيامة: يعني المواقف، مواقف القيامة، وتدنو منهم الشمس قدر ميل أو ميلين، هل هو ميل المسافة؟ أو ميل المكحلة؟ الله أعلم، لكن هذا الدنو ينتج أثراً آخر، وهو شدة العرق، التعرق البليغ، يعرق الناس عرقاً شديداً حتى يسيخ العرق في الأرض سبعين ذراعاً، ثم بعد ذلك يطفو، فيعرق الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يبلغ العرق كعبيه، ومنه من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ سرته، ومنهم من يبلغ ثدييه، ومنهم من يبلغ تراقيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، على حسب حالهم في الدنيا، وفي ذلك الموقف نفسان لله عز وجل: **أحدهما: الحوض المورود لنبينا،** وقد تكلمنا عنه في الأسبوع الماضي، فيطفئ عطش المؤمنين، **والنفس الثاني: ظل عرش الرحمن،** فإن الله تعالى يظل بظله يوم لا ظل إلا ظله من شاء من خلقه، ومنهم السبعة المذكورون في الحديث: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)، ولا يعني ذلك انحصار العدد في السبعة، لكن هؤلاء السبعة من أولى من يستظلون بظل عرش الرحمن يوم القيامة، فيطول بهم المقام –كما مر بنا في حديث الأسبوع الماضي– ثم يفزعون في طلب الشفاعة أن يقضى بينهم، لكن ذلك الموقف العظيم تجري فيه أحداث جسام، ويجري فيه أمور كبيرة، فبعد دنو الشمس وورود الحوض وإلجام العرق وغير ذلك من الأحداث، مما يجري فيه نشر الدواوين –كما أشار الشيخ رحمه الله– وسماه: قراءة الكتاب. ويدل عليه قول الحق تبارك وتعالى: **{ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ} [الإسراء: ١٣]** ، ما معنى: **{طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ}**: أي ما طار من عمله من خير أو شر، **{وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ}** لا انفكاك له، الشيء الذي في عنقك هو الذي لا يفارقك، ما قُلدت إياه في عنقك هو الذي لا ينفك عنك، فلهذا عبر بهذا التعبير البديع، **{وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا} [الإسراء: ١٣]**: **{مَنشُوراً}**: أي مفتوحاً، **{اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: ١٤]** ، فيقع في عرصات القيامة وموقف الحساب نشر الدواوين: وهي صحائف

الأعمال، فكلٌ يري، حتى يقول الكافر: **{مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} [الكهف: ٤٩]**.

ومما يقع في ذلك المقام نصب الموازين، نصب الموازين، والموازين جمع ميزان، قال تعالى: **{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } [الأنبياء: ٤٧]** ، فالموازين جمع ميزان، وهل هو ميزان واحد؟ أم عدة موازين؟ يحتمل، فهذا مما جرى فيه الخُلف، هل هو ميزان واحد؟ أم عدة موازين؟ والخطب سهل، ولكن الشيء الذي **يجب أن نؤمن به أنه ميزان حقيقي له لسان وكفتان، لا كما تقول المعتزلة: إن المقصود إقامة العدل**. لا، قد دلت الأحاديث على أنه لسان، على أنه ميزان حقيقي له كفتان، ومما يدل على ذلك حديث البطاقة، **ما الذي يوزن؟ العمل؟ أو العامل؟ أو الصحف؟ أقوال ثلاثة، ولا تعارض بينها، فإنها كلها قد دلت**، قد دل عليه الدليل، **فدل الدليل على أن الذي يوزن العامل**، ويدل على ذلك حديث عبد الله بن مسعود لما قام يصلح شيئاً في المسجد فبدت ساقاه، فجعل الصحابة يتعجبون من دقة ساقيه، كأنهما قصبتان، كان ضئيل الخلقة، لكن كما قال النبي، كما قال عمر: كنيف ملئ علماً. فجعلوا يتعجبون من دقة ساقيه، فقال النبي ﷺ: (أتعجبون من دقة ساقيه؟ فوالله لهما في ميزان الله أثقل من جبل أحد)، فهذا يدل على أن الذي يوزن هو العامل، ومما يدل على أن الذي يوزن هو العامل من الجانب الآخر، قالوا: (يوزن الرجل الكبير الشريف يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة)، إذن هذا دليل على أنه يوزن الفاجر والكافر، وأن ميزانه في ميزان الله جناح بعوضة، **وما يدل على أن الذي يوزن هو الصحف حديث البطاقة المشهور**، فإنه يوضع تسعة وتسعون سجلاً في كفة، وبطاقة مكتوب بها لا إله إلا الله في كفة، قال: (فطاشت السجلات وثقلت البطاقة)، **وما يدل على أن الذي يوزن هو العمل كثير** { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } [الزلزلة: ٧، ٨] ، بمثاقيل الذر، يعني أدق من ميزان الذهب، كل يوزن من الأعمال، فلا يمنع أن تكون كل هذه توزن لإظهار الشرف أو لإظهار الخسار، ولكن العبرة بوزن الأعمال.

إذن كما قال الشيخ –رحمه الله–: ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان: بقي الصراط، وما أدراك ما الصراط؟ هذا من أصعب مواقف القيامة، حتى إن أولي العزم من الرسل دعاؤهم يوم ذاك: (اللهم: سلم سلم)، يعني عند الورود على الصراط، قال ربنا عز وجل: **{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا } [مريم: ٧١]**: أي النار، **{كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا}**، إذن لابد لكل أحد أن يرد النار، والورود غير الدخول، الورود غير الدخول، **الورود هو الإقبال على الشيء**، فأهل الإيمان يمرون، ومن أراد الله سبحانه وتعالى أن يُعذب منهم وقع، بدليل قوله: **{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ**

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ

حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا } [مريم: ٧١، ٧٢] ، قال العلماء: أما الكفار فإنهم –أصلاً– لا يردون الصراط، لأنهم يُقررون بأعمالهم على رؤوس الملأ، ويُفضحون ويعترفون بها، ثم تُغل أيديهم إلى أرجلهم إلى حلوقهم ثم يُقذفون في النار، فلا ورود لهم –أصلاً–، وإنما يورد على النار أهل التوحيد، لكن أهل التوحيد منهم من هم موحدون صالحون، ومنهم من هم عصاة من عصاة الموحدين، كما قال الله عز وجل: **{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ } [فاطر: ٣٢]** فأخبر النبي عن ورود الصراط وقال: (منهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كشعشعة البرق، ومنهم من يمر كالجواد، كالريح المرسلة، ومنهم من يمر كالخيل الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً)، يعني يمشي على مقعدته، هذا الزحف، وليس الحبو، ثم قال: (فمخدوش ناج، ومكردس في النار، وذلك أن على جنبتي الصراط كلاليب)، جمع كلوب: وهو الحديدة المعقوفة، (وهذه الكلاليب تهاوى على جنبتي الصراط، فتخطف من أمر الله تعالى بخطفه)، فلهذا قال: (فمخدوش ناج): يعني ربما أصابه الكلوب ومضى، وربما علق به الكلوب فألقاه في النار، من عصاة الموحدين، عافانا الله وإياكم.

يعني مشهد مفزع، مجرد تصوره تقشعر له الأبدان ويقف له شعر الرأس، هذا الموقف الذي مهما كنت ومهما كان معك من الحشم والخدم في الدنيا والقبيلة والحماة كل هذا لا يغني شيئاً، ستمر وحدك عرياناً فوق هذا الصراط المهول، والنار تحتك تتلظى، فالأمر جد خطير، فمن شاء الله تعالى له السلامة نجاه: **{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: ٧٢]** ، لاحظ الوصف **{الَّذِينَ اتَّقَوا}**، فالذين يتقون الله تعالى في الخلوات هم أولى الناس بهذا، **{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ}** هم أهل لأن ينجوا للنجاة في ذلك المقام، **{وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً}**، فإذا عبر الناس على الصراط ونجى الله تعالى من نجى ممن سبقت له منه الحسنى **اجتمعوا في موضع يقال له: القنطرة: وهو طرف الصراط مما يلي الجنة.** طبعاً نحن لا نستطيع أن نكيف ذلك إلا بالمعنى العام، فيجتمعون على تلك القنطرة ثم يتعافون ويتغافرون ويتساقطون الحقوق، يُقتص لبعضهم من بعض ليدخلوا الجنة على أكمل زينة ظاهرة وباطنة، فيدخلون وقد نُزع من قلوبهم الغل وتعافوا وتساقطوا الحقوق، فيدخلون على تلك الصورة الحسنة، ويكون أول من يكسى إبراهيم ﷺ، (أول من يكسى إبراهيم)، و(أول تحفتهم –وما يطعمون– زيادة كبد الحوت)، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، و(أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم كالبدر)، هذا هو الوفد الأول، هؤلاء هم الأوائل –جعلنا الله وإياكم منهم– وجوههم كالبدر إشراقاً وضياء، ثم لا يزال المؤمنون يدخلون، يعني كما قال النبي ﷺ: (ليأتين عليه يوم وله كظيظ)، يعني من ازدحام الناس بدخول الجنة،

فهذا هو، يعني إيجاز سريع لما يقع في عرصات القيامة، فهو يوم طويل، يوم طويل –لا شك–، تقع فيه أحداث كثار، كثر، وقد اختلف العلماء في ترتيب هذه الأحداث، فبعضها يمكن أن يُرتب، وبعضها لا سبيل فيه إلا التوقف، **فيترجح مثلاً أن دنو الشمس وإلجام العرق يكون بمجرد انشقاق القبور عن أهلها،** ثم يأتي بعد ذلك **الحوض والشرب** منه والاستظلال بظل عرش الرحمن، ويكون بعد **ذلك نشر الدواوين ونصب الموازين،** ثم –والله أعلم– **يكون بعد ذلك الصراط،** ثم بعد الصراط يكون القنطرة، وتقع الشفاعات في ذلك اليوم العظيم –كما ذكرنا في الدرس الماضي–، ومن العرض ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يعني يقودنا إلى المحطة الثالثة وهي الحساب، **الحساب نوعان: حساب للمؤمنين وحساب للكافرين،** أما حساب الكافرين فقد ذكرنا آنفاً: أن الكافرين يُقررون بذنوبهم، وهذا من باب إقامة العدل، لو شاء الله تعالى لكنسهم إلى النار، يعني دفعة واحدة، لكن الله تعالى لكمال عدله يقيم حجته عليهم: **{مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: ٦٥]** ، وينكشفون على حقيقتهم، وحينئذ تحق عليهم كلمة العذاب فيقذفون في النار، انتهى.

أما المؤمنون فهم على صنفين: حسابهم نوعان: حساب عرض وحساب مناقشة، أشار الشيخ – رحمه الله– قال: والعرض والحساب. وكأنه أراد بالحساب المناقشة، **فأما العرض** فهو ما دل عليه حديث ابن عمر ﷺ قال: (يدني الله عبده المؤمن يوم القيامة فيضع عليه كنفه ويستره ثم يقرره بذنوبه: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فلا يزال المؤمن يقول: أي رب، أي رب. حتى يظن أنه قد هلك، فيقول الله تعالى: إني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم)، ما شاء الله، هنا قد نال السعادة الأبدية إذا سمع هذا الحكم الإلهي من الرحمن الرحيم: (إني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم)، فهذا يسمى العرض، **وأما المناقشة** فهو الذي دل عليه حديث عائشة رضي الله عنها حين قال النبي ﷺ: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك)، قالت: يا رسول الله: أليس الله تعالى يقول: **{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: ٧، ٨]**. ها قد حوسب ولم يهلك، هذا مرادها رضي الله عنها، قال: (يا عائشة: ذاك العرض، ومن نوقش الحساب عُذب)، فميز النبي ﷺ بين حساب وحساب، بين حساب العرض وبين حساب المناقشة، فإذا كان هذا الذي يعرض على ربه يدقق معه في السؤال ويُناقش فإنما ذلك يعني أنه سيعذب بقدر ذنبه، ومذهب أهل السنة والجماعة أن مآل عصاة الموحدين إلى الجنة، وقد يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين، ولكن مآلهم إلى الجنة، هذا هو عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الأمر.

إذن قد عرفنا الحساب، وأما الجزاء وهو المحطة الأخيرة فقد **قال الشيخ –رحمه الله–: والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان:** نعم، الجنة والنار، **الجنة هي الدار التي أعدها الله كرامة لعباده المؤمنين،**

والنار هي الدار التي أعدها الله عذاباً للكافرين، وأهل السنة والجماعة يعتقدون أنهما مخلوقتان، ويستدلون لذلك بأدلة كثر، منها: قول الله تعالى عن الجنة: **{أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران:١٣٣]**أو النار: **{أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٤]**، **فكلمة: {أُعِدَّتْ}: بمعنى هيئت**، مما يدل على أنها مخلوقة، ويدل على ذلك أيضاً حديث صلاة الكسوف، حين تقدم النبي ﷺ وحين تأخر، قال: (ما رأيت منظراً كاليوم قط)، يعني أبشع ولا أحسن، (رأيت الجنة، ورأيت، يعني خضرتها وحسنها، فذلك حينما رأيتموني تقدمت، فهممت أن آخذ قطفاً، فلو أخذته لبقيتم تأكلون منه ما بقيت الدنيا)، الله أكبر، (ورأيت النار يحطم بعضها بعضاً، فذلك حينما رأيتموني تأخرت، ورأيت فيها عمرو بن لُحي الخزاعي يجر قصبه في النار، ورأيت فيها المرأة التي حبست الهرة فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)، كل هذا رآه النبي ﷺ، أيضاً رؤية النبي ﷺ في حديث، في الرؤيا المنامية لأنواع المعذبين: الذي يُشرشر شدقه، والذي يثلغ رأسه، والذي، والزناة والزواني في التنور وغير ذلك، كل ذلك يدل على أن الجنة والنار مخلوقتان، يدل على أن الجنة والنار مخلوقتان، وأيضاً قول النبي ﷺ عن الجنة أن غراسها لا إله إلا الله: (من قال: لا إله إلا الله غرست له نخلة في الجنة)، ونحو ذلك من الأحاديث يدل على وجودهما.

كذلك بالمقابل: لا تفنيان. لقول الله تعالى عن النار في ثلاثة مواضع في القرآن: **{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً}**، بلفظ التأبيد، **{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً}**، فأثبت التأبيد، كذلك عن الجنة **{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً}** في مواضع، **فهذا يدل على أنهما لا تفنيان خلافاً لما ذهب إليه الجهمية وبعض المعتزلة** كالعلاف من أن نعيم الجنة وعذاب النار يبطل، وأنها تبقى شخوصهم. ونحو ذلك من أنواع الفرى التي لا دليل عليها، وإنما هي، يعني هراء عقول وألسنة، لا أقل ولا أكثر ولا تستند إلى دليل.

والذي عليه أهل السنة والجماعة أن أهل النار الذين هم أهلها -لا عصاة الموحدين- مخلدون فيها أبد الآبدين. هذا الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة، وذهب بعض أهل السنة والجماعة ويروى في ذلك آثار عن بعض الصحابة ﷺ أن النار يُخرج منها أهلها بعد آماد وأحقاب طويلة، بعد آماد وأحقاب طويلة، وقد ذكر شارح الطحاوية هذه الأقوال، ولكن الصيرورة إلى ما دل عليه ظاهر القرآن الكريم في، فيه كفاية وغنية وحجة لمن اعتقده.

فالجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وفي الجنة من صنوف النعيم: (ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)، وأهلها فيها يجدون ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وقد ذكر الله في كتابه من الأوصاف التي لا يبلغها تعبير معبر بليغ في ذكر نعيم الجنة، وكذلك أيضاً في ذكر عذاب النار، في قوله **{وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [فاطر: ٣٧]** ، وفي قوله: **{وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا} [الحج: ٢١، ٢٢]** فيجب على المؤمن أن

يعظ نفسه بموعظة الكتاب والسنة وينشط قلبه قلبه للعمل الصالح برجاء الجنة ومعرفة نعيمها، وذكر النار ومعرفة عذابها، ليذدجر ويرعوي عن أي معصية.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.